
كان يا ما كان
الفراش
CHIHAB Kids

كان يا ما كان...

الْفَراشُ



مقتبس عن حكايات هانس كريستيان أندرسن
رسوم : منصور عموري





أَرَادَ فَرَاشٌ أَنْ يَتزَوَّجَ أَجْمَلَ زَهْرَةٍ مِنَ الزُّهُورِ، فَصَعُبَ عَلَيْهِ اخْتِيَارُ وَاحِدَةٍ لِكَثْرَةِ عَدَدِهَا وَ جَمَالِهَا؛ فَطَارَ قَاصِدًا زَهْرَاتِ الرَّبِيعِ.

وَ قَدْ كَانَ الْـمُحِبُّونَ يَنْزَعُونَ أَوْرَاقَهَا، وَ يَسْأَلُونَ عِنْدَ كُلِّ وَرَقَةٍ مَنْزُوعَةٍ : « هَلْ تُحِبُّنِي ؟ قَلِيلاً ؟ كَثِيرًا ؟ بِجُنُونٍ ؟ لاَ تُحِبُّنِي ؟ » لِهَذَا قَصَدَهَا الْفَرَاشُ أَيْضًا وَ سَأَلَهَا قَائِلاً : « سَيِّدَتِي، إِنَّكِ أَدْرَى الزُّهُورِ بِخَفَايَا الْحُبِّ.. فَهَلْ تُسَاعِدِينَنِي عَلَى اخْتِيَارِ مَنْ تَلِيقُ بِي زَوْجَةً ؟ »

غَضِبَتْ زَهْرَةُ الرَّبِيعِ وَ لَمْ تُجِبْهُ.. لَقَدْ خَاطَبَهَا كَسَيِّدَةٍ، بَيْنَمَا مَا زَالَتْ آنِسَةً، جَدَّدَ الْفَرَاشُ طَلَبَهُ مَرَّتَيْنِ، وَ لَمَّا لاَحَظَ صَمْتَهَا تَرَكَهَا وَ انْصَرَفَ.

نَحْنُ فِي أَوَائِلِ الرَّبِيعِ.. نَبَاتَاتُ الزَّعْفَرَانِ وَ زَهْرَاتُ الثَّلْجِ تُغَطِّي كُلَّ الْمَكَانِ. صَاحَ الْفَرَاشُ : « جَمِيلَةٌ هَذِهِ الزُّهَيْرَاتُ.. لَكِنَّهَا مَا زَالَتْ فَتِيَّةً ». لَقَدْ أَصْبَحَ الْفَرَاشُ مِثْلَ الْفِتْيَانِ لاَ يَنْظُرُ إِلاَّ إِلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا.





طَارَ الْفَرَاشُ نَحْوَ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ، فَوَجَدَهَا بَعِيدَةً عَنْ ذَوْقِهِ، وَ رَأَى أَزْهَارَ الْبَنَفْسَجِ أَكْثَرَ عَاطِفِيَّةً. أَمَّا زَهْرَةُ الزَّيْزَفُونِ فَحَجْمُهَا صَغِيرٌ لاَ تَنْفَعُ وَ لاَ تُثِيرُ.. شَدَّتِ انْتِبَاهَهُ زَهْرَةُ التُّفَّاحِ وَ الْوَرْدَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمَا تَتَفَتَّحَانِ الْيَوْمَ لِتَذْبُلاَ غَدًا وَ تَسْقُطَا مَعَ أَوَّلِ هَبَّةِ رِيحٍ.. فَالزَّوَاجُ مَعَ مَخْلُوقٍ ضَعِيفٍ لاَ يَدُومُ إِلاَّ قَلِيلاً.

أُعْجِبَ الْفَرَاشُ بِزَهْرَةِ الْبَازِلاَّءِ، فَهِيَ بَيْضَاءُ وَ حَمْرَاءُ.. نَضِرَةٌ وَ لَطِيفَةٌ وَ مُتَمَيِّزَةٌ جِدًّا، ثُمَّ إِنَّهَا رَاعِيَةُ بَيْتٍ هَائِلَةٌ لاَ تَعَافُ الْأَشْغَالَ الْمَنْزِلِيَّةَ.

ذَهَبَ إِلَيْهَا كَيْ يَخْطِبَهَا لِلزَّوَاجِ، لَكِنَّهُ لَمَحَ ثَمْرَةَ فُولٍ، عَلِقَتْ بِهَا وَرْدَةٌ جَافَّةٌ.
سَأَلَهَا : « مَنْ هَذِهِ ؟ » فَأَجَابَتْهُ زَهْرَةُ الْبَازِلاَّءِ : « إِنَّهَا أُخْتِي ! »
فَابْتَعَدَ عَنْهَا هَارِبًا، وَ هُوَ يَقُولُ : « حَقِيقَةً، وَ سَتَصِيرِينَ يَوْمًا مِثْلَهَا ؟؟؟ »

أَمَالَتْ زَهْرَةُ الْعَسَلِ أَفْنَانَهَا خَارِجَ الْحَاجِزِ الَّذِي كَانَتْ خَلْفَهُ مَعَ كَثِيرٍ مِنَ الزَّهْرَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ، ذَاتِ الأَشْكَالِ الطَّوِيلَةِ وَ اللَّوْنِ الأَصْفَرِ الشَّاحِبِ.
فَكَّرَ الْفَرَاشُ : « بِكُلِّ تَأْكِيدٍ..، لاَ يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ أُحِبَّ مِثْلَ هَذِهِ » وَ هَكَذَا مَرَّ الرَّبِيعُ فَالصَّيْفُ..





قَدِمَ الْـخَرِيفُ، وَ الْفَرَاشُ مَازَالَ لَمْ يَتَخَيَّرْ زَوْجَةً لَهُ ؛ فَالأَزْهَارُ قَدْ بَسَطَتْ أَثْوَابَهَا تَلْمَعُ عَبَثًا، لِأَنَّهَا فَقَدَتْ أَرِيجَ شَبَابِهَا الضَّائِعِ.

مَازَالَتِ الْقُلُوبُ غَيْرُ الشَّابَّةِ مُتَأَثِّرَةً بِهَذَا الأَرِيجِ الزَّكِيِّ، وَ الَّذِي لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مَوْجُودًا فِي الْوُرُودِ وَ زَهْرِ الأُقْحُوَانِ.. الْتَجَأَ الْفَرَاشُ فِي آخِرِ الْـمَطَافِ إِلَى نَبْتَةِ النَّعْنَاعِ.

هَذِهِ النَّبْتَةُ لاَ تُزْهِرُ أَبَدًا، لَكِنْ يُـمْكِنُ اعْتِبَارُهَا زَهْرَةً كَامِلَةً، مَا دَامَتْ عَطِرَةً مِنْ رَأْسِهَا إِلَى سَاقِهَا ؛ فَكُلُّ وَرَقَةٍ مِنْ أَوْرَاقِهَا تُعَادِلُ زَهْرَةً بِالرَّائِحَةِ الَّتِي تَطْرَحُهَا فِي الْهَوَاءِ. « هَذَا مَا يُنَاسِبُنِي ! » قَالَ الْفَرَاشُ فِي نَفْسِهِ. « سَأَتَزَوَّجُهَا ! » ثُـمَّ صَرَّحَ لَهَا بِرَغْبَتِهِ.

بَقِيَتْ نَبْتَةُ النَّعْنَاعِ صَامِتَةً مُتَعَالِيَةً تَسْتَمِعُ إِلَيْهِ. وَ فِي نِهَايَةِ الْأَمْر، قَالَتْ لَهُ : « يُـمْكِنُنِي أَنْ أَمْنَحكَ صَدَاقَتِي إِذَا قَبِلْتَ بِهَا، لَا غَيْرَ. فَأَنَا الْيَوْمَ عَجُوزٌ وَ أَنْتَ مَازِلْتَ شَابًّا. يَسْتَطِيعُ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا عَلَى الْأَقَلِّ رِعَايَةَ الآخَرِ. لَكِنَّ الزَّوَاجَ.. فِي مِثْلِ سِنِّنَا يَجْعَلُ الْجَمِيعَ يَسْخَرُ مِنَّا !



وَ هَكَذَا لَمْ يَتَزَوَّجِ الْفَرَاشُ وَاحِدَةً ؛ بِسَبَبِ تَرَدُّدِهِ فِي اخْتِيَارِهِ. لَقَدْ كَانَ أُسْلُوبُهُ سَيِّئًا ؛ فَصَارَ ذَكَرًا عَجُوزًا. لاَمَسَ الْخَرِيفُ نِهَايَتَهُ، فَأَظْلَمَ الْجَوُّ، وَ هَطُلَ الْمَطَرُ، فَعَصَفَتِ الرِّيَاحُ البَارِدَةُ فَانْحَنَتْ لِقُوَّتِهَا أَشْجَارُ الصَّفْصَافِ حَتَّى كَادَتْ تَنْكَسِرُ. فِي هَذَا الْجَوِّ السَّيِّءِ، يَسْتَحِيلُ الْمُكُوثُ خَارِجًا، فَقَدْ أَصْبَحَ الْفَرَاشُ لَا يَعِيشُ فِي الْهَوَاءِ الطَّلْقِ.

مَا إِنْ رَأَى صَاحِبُ الْغُرْفَةِ الْفَرَاشَ، حَتَّى أُعْجِبَ بِهِ، فَأَمْسَكَهُ وَ وَضَعَهُ فِي عُلْبَةِ الْعَجَائِبِ. لَقَدْ وَجَدَ مَلْجَأً مُصادَفَةً، غُرْفَةٌ تَسُودُهَا حَرَارَةٌ صَيْفِيَّةٌ. فَكَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَعِيشَ مُطْمَئِنًّا، و لَكِنَّهُ صَارَ يَقُولُ : « لَا حَيَاةَ دُونَ حُرِّيَّةٍ وَ أَشِعَّةِ شَمْسٍ وَ زَهْرَةٍ ». طَارَ نَحْوَ النَّافِذَةِ فَاصْطَدَمَ بِزُجَاجِهَا.



فَقَالَ الْفَرَاشُ فِي نَفْسِهِ : « هَا قَدْ صِرْتُ عَلَى سَاقٍ مِثْلَ الْأَزْهَارِ.. إِنَّهَا وَضْعِيَّةٌ لَا أُحْسَدُ عَلَيْهَا. لَكِنْ يُمْكِنُ لِي أَنْ أَقُولَ بِأَنَّنِي الْيَوْمَ وَجَدْتُ مَكَانًا أَسْتَقِرُّ فِيهِ، وَ هَذَا يُشْبِهُ الزَّوَاجَ ». بِهَذَا التَّفْكِيرِ صَارَ الْفَرَاشُ يَتَأَسَّى لِيُخَفِّفَ عَنْ آلَامِهِ.

هَمَسَتْ بَعْضُ النَّبَاتَاتِ الَّتِي وُضِعَتْ فِي مَزْهَرِيَّاتٍ تَزْيِينًا لِلْغُرْفَةِ سَاخِرَةً : « إِنَّهَا حَقِيقَةٌ لَتَعْزِيَةٌ مُحْزِنَةٌ ».

« لَا شَيْءَ يُنْتَظَرُ مِنْ نَبَاتَاتٍ رَضِيَتْ بِوَضْعِيَّتِهَا دَاخِلَ أَوَانٍ، فَهِيَ مُرْتَاحَةٌ لَا إِنْسَانِيَّةَ فِيهَا ». هَكَذَا حَكَمَ عَلَيْهَا الْفَرَاشُ.

